نظرية الانتساب في مجالات علم النفس الإجتماعي والاكلينيكي

عثمان يخلف – معهد علم النفس – جامعة الجزائر.

مقدمة :

اكتسى مفهوم الانتساب حاليا طابعا ومصداقية عملية معتبرة في مجالات علم النفس الاجتماعي وعلم النفس الاكلينيكي ، ولقد استعمل هذا المفهوم من طرف الباحثين لتقديم شروح ونماذج نظرية حول ميادين البحث العديدة مثل السلوكات المرتبطة بالانجاز (WEINER + 1974) الاضطربات العاطفية (Valins + 1972 Nisbett) أساليب العلاج النفسي (Psychotherapeutic Processes) – ولقد تبنى بعض الباحثين نظرية الانتساب كذلك لمعالجة وتصحيح بعض نظريات علم النفس الاجتماعي المعرفي مثل : نظرية دافعية الانجاز (Achievement Motivation theory Atkinson + Feather 1964) ونظرية العجز المتعلم (Learned Helplessness Abramson et al 1978 theory). ان تبني منهج نظرية الانتساب في هذه المجالات العلمية العديدة خلق حوارا هاما ومناقشات عديدة حول مختلف المفاهيم النظرية والقضايا الامبريقية في علم النفس الاجتماعي والاكلينيكي Kidd Ickes 1976 1978 Harvey.

تعتبر عملية الانتساب اسلوبا يعود اليه الفرد لتكوين احكام حول اسباب سلوكه (أي تفكيره وشعوره وتصرفه) وسلوكات الآخرين. كما يتعلق الانتساب بالطرق التي من خلالها ينتج ويقدم الناس تفسيرات وشروحا لاحداث الحياة اليومية.

إن اهتمام علماء النفس بالتفسيرات التي يقدمها الناس حول اسباب سلوكهم (Causal explanations) قد يرجع الى الخمسينات حيث كان HEIDER (1958)

اول من بدأ البحث الذي سمى آنذاك بالمدركات الحدسية للاسباب (اي الانتسابات) Intuitive perceptions of causality ثم تطورت البحوث في هذا الميدان من طرف Jones + Davis (1965) و Kelley (1967) – كما أشار (1980) الى ذلك Semin في دراسته القيمة ان اعمال هؤلاء الباحثين :

«قد بسطت القاعدة اللازمة لما قد يعتبر الهيكل النظري الاكثر تأثيرا في علم النفس الاجتماعي الحديث» (ص.291).

إن الخطوط العريضة لنظرية الانتساب تنص على أن الناس في نشاطاتهم اليومية يحاولون تقديم تفسيرات حول أسباب تصرفهم ، شعورهم وتفكيرهم – وهذه التفسيرات السببية (الانتساب) ، تلعب دورا معتبرا في السلوك اللاحق – وتنص كذلك النظرية على أن استعمال أساليب انتسابية شاذة Depressogenic Attribution يؤدي الى انعكاسات نفسية سلبية – وبدراسة هذه الاساليب أو الأنواع يمكن التنبؤ والتخلص من بعض الاظطربات النفسية باستعمال العلاج الانتسابي Attribution theory.

إن نظرية الانتساب تقدم ، في الجانب النظري ، نموذجا أو هيكلا صالحا لدراسة وتفسيرا السلوك الاجتماعي في شكله السوي المتكيف ، وشكله الشاذ غير المتكيف – كما تقدم أيضا هيكلا امبريقيا Empirical Framework لدراسة وتقييم الفرضيات العديدة الخاصة بالشروط السابقة لحالة سلوكية أو عاطفية معينة.

ورغم انسجام مفهومها الظاهري Conceptual Adequacy، فقد وصفت نظرية الانتساب بأنها تفتقر للمكونات الاساسية الضرورية التي تتمتع بها أي نظرية جيدة للمعرفة الاجتماعية Social Cognition Theory وتدور الانتقادات الموجهة الى هذه

النظرية حول الافتراضات التي يتبناها ويتمسك بها المنظرون في ميدان الانتساب ، ومن بين هذه الافتراضات أن الشخص الذي يقوم بالانتساب أي The Attributor يعمل وينشط مثل الاحصائي أو العالم عندما يحاول شرح أو تفسير الاشياء التي تحدث في حياته وحياة الآخرين ، ان هذه الاستعارة كذلك انتقدت من طرف الباحثين في ميدان الاحكام الاجتماعية (Social Judgements HOGARTH 1980)) – ان الخلاصة التي برزت من هذه الدراسات تقترح بأنه على عكس افتراضات نظرية الانتساب ، فان قدرة الفرد على معالجة المعلومات Information Processing محدودة جدا.

ولربما النقد الاكثر تبريرا لنظرية الانتساب هو عدم رجوعها للمرجع الاساسي الذي هو السياق الاجتماعي Socicl Context الذي يعد ميدان ومصدر الانتسابات. وكما قال سمين (1980) فان الفرد في نظرية الانتساب وصف وكأنه يتصرف في فراغ اجتماعي Social Vacuum

وعلى هذا الاساس ينبغي تصحيح النظرية وتطويرها حتى تكتسي طابعا اجتماعيا وحتى تحتفظ بمكانتها كالنظرية الرائدة في ميدان علم النفس الاجتماعي.

تكوين انتسابات الاسباب

كان ولا يزال الهدف الاساسي لنظرية الانتساب وصفا وتفسيرا للاساليب التي من خلالها يتم تكوين انتسابات الاسباب Attribution of Causes . ولقد كتب الباحثون امثال هيدر ، وجونسن ودايفيس وكلي ، كثيرا عن الظروف السابقة وعن كيفية تكوين انتساب الاسباب . وتتمثل أعمالهم على وجه الخصوص في تشخيص ووصف الشمولية الذهنية Heuristic التي يستعملها المدرك للوصول الى أحكام سببية Causal Judgements.

رغم المكانة الهامة التي تحتلها أعمال وبحوث هيدرو وجونس ودايفيس الا ان نموذج كلي النظري المعروف ب نموذج تحليل التباين Anova Model ، أكثر أهمية عندما يتعلق الامر بوصف وتفسير ظاهرية الانتسابي Phenomenology of the Attributor – وعلى الخصوص فان تحاليل كلي المكثفة أدت الى اكتشاف القواعد الخاصة بعملية الانتساب ويظهر بأن نموذج كلي النظري يزودنا بهيكل أو نمط أكثر فعالية لتحليل وتفسير الاساليب الانتسابية.

ويصر كلي على ان ادراكات الناس الحدسية للسببية تخضع وتعمل وفق مبدأ أساسي يعرف بمبدأ التباين المتلازم Covariance Principle وينص هذا المبدأ خصوصا على أن : «النتيجة (Effect) تنسب الى أحد الاسباب الممكنة التي المتلازمة (Covariation) معه عبر الزمن» (كلي ، 1972 ص 3). حدد كلي معايير يعتقد بأنها مستعملة في عملية الانتساب ، أي تحديد العلاقات Covariation Cause Effect وهي :

- التميز Distinctiveness
- الاجماع Consensus
- الاستقرارConsistensy
- التميز يشير الى المعلومات المتعلقة باستجابة الفرد للمثير.
- الاجماع يتمثل في المعلومات والمعطيات المتعلقة باستجابات أو ردود أفعال الاشخاص الآخرين لنفس المثير.
- الاستقرار يتمثل في المعلومات الخاصة باستجابة الشخص عبر الزمن.

في نموذج كلي النظري المدرك أو الشخص الذي يقوم بالانتساب ، يسعى للحصول على معلومات من ثلاثة مصادر :

1 – المثير : يقدم معلومات حول التميز Distinctivenees Information

2 – الاشخاص : في هذه الحالة تقدم معلومات حول الإجماع Consensus Information

3 – الزمن : يقدم معلومات حول حالة الاستقرار Consistency Information, ثم تخضع هذه المعلومات الملتقطة لعملية تحليل التباين ANOVA وهذه العملية الاحصائية تحدد بدورها نوع الانتساب الذي يستعمل كوسيلة ذهنية Cognitive Device لتحليل وتفسير ظاهرة أو سلوك معينين.

تصنيف انتسابات الاسباب :

احرزت نظرية الانتساب تطورا معتبرا وذلك نتيجة للاعمال والبحوث النظرية والأمريقية التي أنجزت في ميدان دافعية التحصيل – وعلى اثر صياغة النموذج الانتسابي لدافعية التحصيل ، قدم Weiner وزملاؤه (1971) مجموعة من فرضيات حول خصائص الانتساب السببية – واعتمادا على كتابات هيدر (1958) ، رويطر (1966) وكلي (1967) ، اقتنع وينر وشركأوه (1971) بوجوب تصنيف الانتسابات على أساس الابعاد السببية التالية :

1 – بعد مركز السببية Dimension of locus of Causality :

يشمل هذا البعد انتسابات لاسباب داخلية أي دخل الشخص ، تعرف بالانتسابات الداخلية Internal Attributions – وانتسابات لاسباب خارجية أو محيطية وتعرف بالانتسابات الخارجية External Attribution.

2 – بعد الاستقرار والثبات Dimemsion of Stability :

ويشمل هذا البعد انتسابات لاسباب ثابتة Stable Attributions وانتسابات لاسباب غير ثابتة Unstable Attributions

– لقد كان التحليل الثنائي البعد للانتسابات مستوحى من الاعمال والبحوث

السابقة الخاصة بمسألة ادراك أسباب النجاح والفشل Pecieived causes of success and Failure – وفي هذا السياق صنف رويطر وزملاؤه (1971) أسباب الاداء في ميادين التحصيل الى أربعة أنواع :

– الكفاءة Ability ، الجهد Effort صعوبة المهمة Task Difficulty والحظ Luck. ووجدوا بأنه في هذه التفسيرات السببية (أو الانتسابات) تبرز تشابهات واختلافات. مثلا انتساب الكفاءة Ability Attribution وانتسابات الجهد Effort Attribution يعتبران انتسابات داخلية ، غير أن الأول يتميز بالاستقرار Stabilityوالثاني يكتسي طابعا غير مستقرا Unstable – وكذلك انتسابات المهمة Task Attribution وانتساب الحظ luck Attributionيكتسيان طابعا خارجيا (أي انتسابا خارجية) غير أن الاول يتميز بالاستقرار والثبات والثاني بعدم الاستقرار.

– ويظهر بأن قرار واينير وزملائه المتعلق بترتيب وتنظيم الانتسابات في ابعاد المركز راجع الى دافعين اساسيين :

– تشخيص وتحديد الفروق الفردية بدقة حسب نوع الانتساب .

– ربط نتائج أو انعكاسات الاداء (مثلا الانفعالات ، التوقعات الخ...) بمختلف أنواع الانتسابات.

– افترض وفي نموذجهم الانتسابي لدافعية التحصيل ، رويتر وزملاؤه (1971) :

– وجود علاقات متينة بين أنواع الانتساب ونتائج الاداء (أي النجاح والفشل).

– ويقترحون بأن الانعكاسات الانفعالية تتأثر بالانتسابات الداخلية والخارجية (أي البعد الداخلي) ، في حين أن التغيرات في التوقعات Expectancy Shifts ترجع الى انتسابات من النوع الثابت (البعد الثابت).

– وحديثا منظوروا العجز المتعلم (1978 ، Abramson et al., 1978) اقترحوا كذلك بعد ثالثا يخص الانتساب ، وهذا لتشخيص وتفسير بعض جوانب هذه الظاهرة المرضية أي ظاهرة العجز المتعلم (الاكتئاب) وهذا البعد يعرف ببعد

خاص – شامل Specific Global ، وهو موازي للبعدين الاخرين – وأدخل هذا البعد لتفسير حالة تعميم أو عدم تعميم اضطرابات العجز المتعلم (أي ابراز العجز في كل الوضعيات بما فيها الوضعية الاصلية التي اكتسب فيها العجز). وهكذا فان الانتسابات الخاصة Specific Attributions تقتضي بأن أغراض العجز المتعلم تظهر في الوضعية الاصلية، بينما الانتسابات الشاملة تؤدي ، على العكس الى تعميم اظطرابات العجز (أغراض الاكتئاب) لجميع حالات أوقات التوتر.

– وعموما فان نظرية الانتساب كما صاغها هيدر (1958) ، كلي (1967) ، وطورها رويتر (1974) ابرمسون وزملاؤه (1978) ، تنص على أن الانتسابات ترتكز على قواعد أحكامية خاصة ، وهذه الانتسابات تحدد انفعالات وردود أفعالنا سواء تجاه الاحداث الماضية او المستقبلية . والدراسات في هذا الميدان من علم النفس الاجتماعي قد دعمت الفرضيات المنبثقة من نظرية الانتساب ، وخاصة التي تحاول الربط ما بين نوع من الانتساب واضطرابات نفسية وسلوكية معينة (HARVEYICKES KIDD 1978 IKHLEF 1982).

الدراسات الحالية :

– لعل القضية الهامة في نظرية الانتسابات كانت ولاتزال هي طبيعة الاخطاء التي تشوه أحكام الناس السببية (الانتسابات).

وأظهرت البحوث الأخيرة أن تكوّن الانتسابات السببية لا يقتضي دائما استعمال قواعد احكامية منطقية Logical Judgemental Rules – وبين على الخصوص أنه في بعض الحالات تخضع الانتسابات لتحيزات عدد من أخطاء ذهنية Attributional Biases لوحظت على على الخصوص في مجالات البحث الثلاثة الاتية :

– في المجال الدراسي للمشارك والملاحظ Actor Observar Bias

– في الدراسات الخاصة بمجال النجاح والفشل Success Failure Issue

- في الدراسات الخاصة با لتغييرات في الاستعداد (خاصة بالذاكرة) Dispositional Shift

- التحيز في ميدان المشارك والملاحظ :

ربما الادلة الاكثر قناعة بأن هناك تحيز Bias أو أخطاء في الانتسابات ، قد قد بينتها الدراساتالتي جرت حول الفروق في الانتسابات بين المشارك والملاحظ (Jones Nisbett 1972) استنادا الى هذه المسألة ، صرح جونس ونسبات) (1972) أنه : «يوجد ميل شائع عند المشاركين لنسب افعالهم لمقتضيات الظروف بينما يميل الملاحظون لنسب نفس الافعال للاستعدادات الشخص المستقرة (ص.80). حدد جونس ونسبات (1979) ثلاثة عوامل مختلفة باستطاعتها تفسير الفروق الانتسابية للمشاركين والملاحظين ولقد افترض بانها تعود الى الاختلاف في :

- مستوى الدافعية
- الوضعية الادراكية
- استراتيجية معالجة المعلومات

الجدال لايزال قائما حول صلاحية وصحة هذه الفرضيات في تسليط الضوء على هذه الظاهرة الانتسابية.

2 - 4 - التحيز في ميدان النجاح والفشل :

أخطاء الانتسابات قد تظهر عادة في مجال الانتساب أو تفسير سلوكات الانجاز كما تعتبر انتسابات أو تفسير سلوكات الانجاز ميدانا آخر عادة ما تظهر فيه الاخطاء الانتسابية - وتؤكد مختلف الدراسات في هذا المجال ان الاشخاص يميلون الى نسب النجاح الى أسباب داخلية (انتساب داخلي) والفشل الى عوامل خارجية (انتساب خارجي) ولقد حاول بعض الباحثين شرح هذه الظاهرة ، فمثلا Snyder وشركأوه (1976)

قدموا تفسيرات دافعية Motivational Explamation ، بينما يفضل الاخرون شرحا اعلاميا غير دافعيا Informational Explamation (Nisbett Ross 1980).

ان الذين يفضلون تفسير «دافعي» لظاهرة التحيز الانتسابي . يصرون على أن الاشخاص لهم رغبة في حماية ورفع تقدير الذات ونتيجة لذلك ينسبون النجاح لانفسهم والفشل لاسباب خارجية.

بينما الذين يتخذون نظرة اعلامية Information view لتفسير نفس الظاهرة (اي الأخطاء الأنتسابية) ، يصرون على أن التحيز يبرز من مصادر معرفية أو إعلامية. لقد دعمت هذه الفرضية المعرفية من طرف نسبات وروص (1980) ، حيث قدمت دراستهم برهانا كافيا يبين بأن الاخطاء الانتسابية راجعة لخلل في استراتيجية معالجة المعلومات Information Processing.

قضية التغيير الإستعدادي :

لوحظت كذلك أخطاء انتسابية في ميدان دراسي آخر معروف بالتحول الاستعدادي Dispositional shift – وقد بينت البحوث بان انتسابات أو تفسيرات الفرد لسلوكاته الماضية قد تكون أقل تعلقا بالوضعيات Less Situational وأكثر تعلقا بالاستعدادات More Dispositional مقارنة بتفسير سلوكاته الحاضرة (مثلا 1980 ، Peterson) ويعتقد بأن هذا التبديل أو التعبير الاستعدادي في الانتسابات عبر الزمن، راجع الى هيمنة الذكريات المرتبطة بالذات على الذكريات الخاصة بالوضعية.

– ويرى مور وزملاؤه (1979) أن الذكريات الخاصة بالذات أكثر سهولة في

الاسترجاع من ذكريات الوضعية ، عند قيام الناس بنشاطات معرفية انتسابية بخصوص أحداث وتجارب ماضية – وهذا راجع ، حسب الباحثين الى تطوير وتفوق مخططات الذات Self schemata مقارنة مع ظرف مخططات الوضعية Situation Schemata – وتبرز حسب نتائج دراسة بترسون (1980) ، بأن ظاهرة التحول الاستعدادي في الانتسابات قد ترجع الاخطاء في عملية التذكر وكذا التحيز في النشاط الذهني المعرفي للفرد.

خلاصة :

تلخيصا لما جاء في هذه العرض ، يمكن القول بأن الهدف منه هو تقديم وابراز الاهمية التي اكتسبتها نظرية الانتساب في علم النفس الاكلينيكي والاجتماعي ، لقد أشرنا أن مفهوم الانتساب استعمل من طرف الإكلينيكيين والباحثين لتحليل السلوك الانساني في شكليه السوى والشاذ. وكذا اثراء وتزويد ميدان المعرفة الاجتماعية بمعطيات نظرية جديدة. لقد ساهمت نظرية الانتسابات على القاء الضوء على عدد من الظواهر النفسية الاجتماعية بما فيها دافعية التحصيل ، التفاعل الاجتماعي ، وظاهرة العجز المتعلم. ورغم نقائصها المختلفة ، سيبقى تأثير نظرية الانتساب سائر المفعول في الممارسة الاكلينيكية والدراسات النفسية الاجتماعية.

المراجع

ABRAMSON. L.Y Seligman, M.E.P., & Teasdale, J. (1978)
Learned helplessness in humans: Critique and reformulation. **Journal of Abnormal Psychology, 87, 49, 74.**

HEIDER, F. (1958).
The psychology of interpersonal relations. NEW YORK: Wiley.

HOGARTH, R. (1980).
Judgement and choice: The psychology of decision. Wiley & Sons.

ICKES, W & Layden, M.A. (1978).
Attributional styles. In J.H. harvey, W. Ickes, and R.F. Kidd (Eds), New **Direction in attribution research** (Vol. 2.). New York: Wiley.

IKHLEF, A. (1982)
Attribution and depression. Ph. D. Thesis, Plymouth Polytechnic. G.B.

JONES, E.E. & Davis, K.E. (1965).
From acts to dispositions: The attribution process in person perception. in L. Berkowitz (Ed.), Advances in Experimental Social Psychology (vol.2), New York: Academic Press.

JONES, E.E. & Nisbett, R.E. (1972).
The qctor and the observer: Divergent perceptions of the causes of behaviour. In E.E. Jones et al. (Eds), Attribution: **Perceiving the causes of behaviour.** New York: General Learning Press.

KELLEY, H.H. (1967).
Attribution theory in social Psychology. in D. Levines (Ed), Nebraska symposium on motivation. Lincoin: University of Nevraska Press.

23KELLEY, H.H. (1972).
Causal schemata and the attribution process. In E.E. Jones, D.E. Kanouse, H.H. Kelley R.E. Nisbett, S. Valins, & B. Weiner (Eds). **Attribution: Perceiving the causes of behaviour.**
N.J.: General Learning Press.

KOPEL, S., & Arkowitz, H. (1975).
The role of attribution and self - perception in behaviour change : Implications for behaviour therapy. **Genetic Psychology Monographs, 92, 175-212.**

MOORE, B.S. Sherrod, D.R., Liu, T.J., & Underwood, B. (1979).
The dispositional shift in attribution overtime. **Journal of Personality and Social Psychology, 15, 553-569.**

NISBETT, R.E, & Rose, L. (1980).
Human inference: Strategies and shortcomings in social judgement. N.J.: Prentice-Hall.

PETERSON, C. (1980).
Memory and the dispositional shift. **Social Psychology Quarterly, 43, 372-380.**

SEMIN, G.A. (1980).
A gloss on attribution theory. British **Journal of Social an Clinical Psychology** 19, 291-300.

SNYDER, M.L., & Stephen, W.G., & Rosenfield, D. (1976).
Egotism and attribution, **Journal of Personality and Social Psychology, 33, 435-441.**

VALINS, S, & Nisbett, R. E. (1972).
Attribution processes in the development and treatment of emotional disorders. In E.E Jones et al. (Eds.), **Attrribution: Perceiving the caises of behaviour.** General Lerning Press.

WEINER, B. (1974)
Archievement motivation and attribution theory New York: Genera Learning Press.